تدبر القرآن المكي

ما أعظم القرآن المكي، وما أحوجنا إلى تدبره والتوقف معه، وسأختار عدداً من السور المكية التي نزلت في أول البعثة والرسالة، ونتوقف مع بعض الآيات منها لما لها من أثرٍ عظيم في ترسيخ الإيمان وتعزيز اليقين، وخاصة أنها نزلت في مرحلة الاستضعاف والتعذيب، لكنها كانت مليئةً باستعلاء الإيمان، ومُطمئِنةً بعاقبة المؤمنين في الدنيا والآخرة.

تدبرٌ في سورة الفجر

سأبدأ مع سورة الفجر، وما أجمل مطلعها...!، سكينةُ الفجر!، وهدوءُ الليل!، ودويُّ الليالي العشر، وصلاةٌ يحبها الله، والشفع والوتر، ثم تنتقل السورة إلى شدائد عجيبة، مشهد لهلاك عاد إرم، وقوم ثمود، وطغيان فرعون...، وهكذا الحياة سكينة وشكيمة...!.

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾ إنَّ هذا المقطع نزل من أوائل ما نزل، أيْ وقتُ تعذيب قريش لضعفاء الصحابة، روى الإمام أحمد في مسنده عن ابن مسعود ﷺ قال: «أوَّلُ من أظهَرَ إسلامَه سَبعةٌ: رَسولُ اللهِ ﷺ، وأبو بكرٍ، وعَمَّارٌ، وأمُّه سُمَيَّةُ، وصُهَيبٌ، وبِلالٌ، والمِقْدادُ؛ فأمَّا رَسولُ اللهِ ﷺ فمنَعَه اللهُ بعَمِّه أبي طالِبٍ، وأمَّا أبو بكرٍ فمَنَعه اللهُ بقَومِه، وأمَّا سائِرُهم فأخَذَهم المشرِكونَ فألبَسوهم أدراعَ الحديدِ وصَهَروهم في الشَّمسِ، فما منهم إنسانٌ إلَّا وقد واتاهم على ما أرادوا إلَّا بلالٌ؛ فإنَّه هانت عليه نَفْسُه في اللهِ، وهان على قَوْمِه، فأعطَوه الوِلْدانَ وأخَذوا يَطوفون به شِعابَ مكَّةَ وهو يقولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ»[1].

(1) مسند الإمام أحمد، حديث رقم 3832.